مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة-تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد: 05 / العدد: 02 / (2021)، ص349–361

النقد الثقافي بين الغواية وأفق المجازفة في تشكيل خطاب نقدي جديد .

Cultural criticism between seduction and risk horizon in forming a new critical discourse.

د. متلف آسية
metlef.assia@gmail.com
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
(الجزائر)

تاريخ الاستلام:2021/06/20 تاريخ القبول:2021/07/12 تاريخ النشر:2021/12/02

ملخص:
بعد الاهتمام الواسع بأدبية الأدب والبحث عما يحقق جماليته وترويض التأويل للتنقيب عنها وتتبع مواطنها، ظهر في الساحة النقدية العربية طرح نقدي جديد وهو"النقد الثقافي" الذي انتهك حرمة الجمالي في النص الأدبي ليبحث عن تلك الأنساق الثقافية المضمرة الثاوية في النصوص من خلال ربط الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن،وبشكل غير واعي من الأديب نفسه إلاّ أنّ صداها أثرّ في ضميرنا الثقافي، فاختلفت إجراءات التحليل بين النقد الأدبي والنقد الثقافي لينفرد بمصطلحات ومرجعيات أهلته لكي يكون نقدا جديدا مختلفا في منطلقاته وتحليلاته بيد أنّ هذا الطرح جعله نشاطا نقديا كما وصفه عبد الله الغذامي وليسا منهجا مستقلا كباقي المناهج النقدية الأخرى.

كلمات مفتاحية: طبيعة النّقد الثّقافي– إجراءاته التحليلية — مصطلحات النّقد الثّقافي.

Abstract:
After the widespread interest in literary literature, searching for what achieves its aesthetics and taming interpretation to search for it and trace its places, a new critical proposition appeared in the Arab critics arena, which is "cultural criticism" which violated the sanctity of the aesthetic in the literary text in order to search for those implicit cultural systems that are rooted in the texts by linking literature with its context. The non-declared cultural, and unconsciously from the writer himself, but their resonance affected our cultural conscience, so the analysis procedures differed between literary criticism and cultural criticism, so that it was unique in terms and references that qualified it to be a new criticism, different in its principles and analyzes. However, this proposition made it a critical activity as described by Abdullah Al-Ghadhami It is not an independent method like the rest of the other critical methods.

keywords:

The nature of cultural criticism - its analytical procedures - terminology of cultural criticism.

توطئة :

تسعى المناهج النقدية المعاصرة على اختلافها وتنّوع مقارباتها إلى إضاءة النص الأدبي وفك شفراته وسبر أغواره ودهاليزه المظلمة التي تأبى أن تسلّم نفسها للقارئ الناقد منذ الوهلة الأولى، إلاّ في ظل غواية مغرية، فتتعدد قراءاته بتعدّد الإجراءات النقدية وتميّزها

ففي ظلّ هذا التّعدد والاختلاف ظهر في الوطن العربي طرح نقدي جديد يفتح أفقا واسعا أمام النص ليقدّم نفسه باعتباره "نصا مثقفا " يستدعي أفقا ترويضيا لاستكناه حدود الغواية في الأشياء وتأويل صلات تفاعل فيما بينها واستجلاء العلائق المضمرة بين أعطافها، لأنّه يحاول تلمّس النظام الثقافي المنغرس في ثنايا النص، إذ يسعى هذا النقد الجديد إلى تذوّق النص بوصفه قيمة ثقافية لا مجرد قيمة جمالية فيميط اللّثام عن كل الأنساق الثقافية المضمرة النّاوية داخل النصوص، فهل يعدّ النقد الثقافي مشروع حداثة أم مشروع غواية ؟وكيف يمكن إحداث نقلة نوعية في الفعل النقدي من النقد الأدبي إلى النقد الثقافي بإعلان موت الأول وميلاد الثاني فيصبح هذا بديلا عن ذاك ؟ ما هي طبيعة العلاقة بين النقد الأدبي والنقد الثقافي هل هي علاقة تناجز أم تنافر؟.

واتبعنا في دراستنا هذه المنهج الوصفي التحليلي الذي يتوافق وطبيعة الموضوع الذي نحن بصدد تقديمه، حيث نبتغي من خلاله تتبع تلك الإجراءات النقدية التي يسعى من خلالها النقد الثقافي إثبات وجوده بين المناهج النقدية المعاصرة، كما تهدف هذه الورقة البحثية إلى تتبع مسيرة النقد الثقافي في الساحة النقدية العربية بالتركيز على خصوصية طرحه وتفرّد إجراءاته التحليلية

أولا: النقد الثقافي وأفق المجازفة في تشكيل خطاب نقدي جديد:

بعد الاهتمام الواسع بأدبية الأدب والبحث عن ما يحقق جماليته وترويض التأويل للتنقيب عنها ،ظهرت مشروعات نقدية جديدة تستخدم أدوات النقد في مجالات أعمق وبوعي أكبر للبحث عن ما وراء الأدبية والجمالية ونقصد بذلك "النقد الثقافي" الذي لم يتردد في إثارة جدل كبير في الساحة النقدية العربية إذ حمل تغييرا جذريا في مجال الدراسة النقدية التي باتت قاصرة في نظر رواده على قراءة النصوص قراءة واعية .إلا أن "النقد الثقافي لن يكون إلغاء منهجيا للنقد الأدبي ، بل إنه سيعتمد اعتمادا جوهريا على المنجز المنهجي الإجرائي للنقد الأدبي "[1]، على الرغم من تلك المجازفة التي قام بها عبد الله الغذامي حين أعلن موت النقد الأدبي وميلاد النقد الثقافي بحيث اتهم الأوّل بالقصور والعجز يقول :" وبما أن النقد الأدبي غير مؤهل لكشف هذا الخلل الثقافي فقد كانت دعوتي بإعلان موت النقد الأدبي ،وإحلال النقد الثقافي مكانه ..."[2] إلاّ أنّنا نعتقد أن لكلّ نقد خصوصيته المنهجية وأدواته الإجرائية التي لا يمكن التغاضي عنها أو نفي وجودها، فالنقد الأدبي كما يشير عبد النبي اصطيف لا يمكن أن يموت [3]، فالخطاب الثقافي لا يتحقق وجوده بانفصاله عن جماليات اللغة والمعنى في النصوص الشعرية ، وإنما يكتسب صفته الثقافية بفعل السياقات الجمالية والقيم الجمالية المنصرفة فيه [4]

إن العمل في النقد الثقافي قائم على آلية منهجية تأطرت بأفكار ما بعد الحداثة وأخذت حيزها وتشكلت المباني النقدية منها؛ فقد حاول النقد الثقافي تجاوز" التصنيف المؤسساتي للنص بوصفه وثيقة جمالية إلى الانفتاح على الخطاب بوصفه ظاهرة تثقيفية أوسع له نظامه الافصاحي الخاص"،فالنص ضمن هذا التوجه لا يقرأ لذاته وإنّما يكشف حيل الثقافة في تمرير أنساقها والسعي إلى الإلمام بشروط ميلاد النصوص وتبيان جدواها في فهم الظاهرة الإبداعية لأنّ النص يولد من رحم الثقافة ،ولا يأتي هذا المولود إلاّ بعد مخاض عسير.

حاول النقد الثقافي الاعتماد على منهجية إجرائية واضحة تؤهله لأن يكون بديلا معرفيا ومنهجيا للنقد الأدبي فأول ما اهتّم به هو إحداث نقلة نوعية تمسّ السؤال النقدي ذاته وتحرره من المعنى المؤسساتي الذي لحق به فالنقد موصوف بأنّه أدبي مثلما أن النظرية تقيد دائما بصفة الأدبية والأدبية هي المعنى المؤسساتي لهذا المصطلح يقول عبد الله الغذامي "إن تحرير المصطلح من قيده المؤسساتي هو الشرط الأول لتحرير الأداة النقدية من كل ارتباط بين الاثنين أزليا "[5] ، فلعل جرأة الطرح في فصل النقد عن أمه المرضعة كما وصفها عبد الله الغذامي ويقصد بذلك الأدبية ومحاولة إحداث نقلة نوعية في توجهات الفكر النقدي وفي طبيعة اشتغال الأداة النقدية هو ما يحقق عنصر المجازفة في الانتقال من خطاب نقدي أدبي إلى خطاب ثقافي؛ ولا يحدث هذا التحول إلاّ من خلال مجموعة من العمليات الإجرائية والتي تتلخص فيما يلي[6]:
-نقلة في المصطلح النقدي ذاته -نقلة في المفهوم (النسق)-نقلة في الوظيفة -نقلة في التطبيق.

ثانيا:_المنهجية الإجرائية للنقد الثقافي :

لقد استعار النقد الثقافي إجراءاته وأدواته النقدية من المشروع الذي هو بصدد التصدي له إلا أنّه حاول ترويضها وتحويرها وفق ما تدعو إليه الدراسة النقدية الجديدة ، فأحدث تعديلا جوهريا في الأداة النقدية التي كانت أدبية معنية بالأدب الجمالي لتكون أداة في النقد الثقافي لا الأدبي "مع التركيز الشديد على عملية الانتقال وكونه انتقالا نوعيا يمس الموضوع والأداة معا، ومن ثم يمس آليات التأويل وطرائق اختيار المادة المدروسة ،بدءا من أساليب التصنيف ذاتها والتعرف على النصوص والعينات التي كان يتحكم بها الشرط الأدبي بمعناه المؤسساتي."[7]، وباعتبار النقلة الاصطلاحية أولى النقلات وأهمها حاولنا وضع نوع من المقاربة بين مصطلحات النقد الأدبي وتحويراتها في النقد الثقافي فتجلى لنا ما يلي :

مصطلحات النقد الأدبي	مصطلحات النقد الثقافي
مصطلح "الأدبي "	مصطلح "الثقافي "
الرسالة	الوظيفة النسقية
الدلالة الضمنية	الدلالة النسقية
الجملة الأدبية	الجملة الثقافية
المجاز البلاغي	المجاز الكلي
التورية البلاغية	التورية الثقافية
	النسق المضمر

وأول ما سنتطرق إليه في هذه المنظومة الاصطلاحية الجديدة بالتوضيح والشرح مصطلح الأدبي/ الثقافي .

أ_ **مصطلح النقد الثقافي:** حاول النقد الأدبي قديمه وحديثه التمسك بحصانة "الأدبية "التي ظلّ النقاد تحت مظلتها ركحا من الزمن إلى حين تحولت "المؤسسة ثقافية متعالية وطبقية واحتكر الشرط الإبداعي حسب شرط المؤسسة الأدبية، وتم تصنيف الذوق والتحكم في الاستقبال ومن ثم الإنتاج وجر تبعا لذلك أبعاد خطابات كثيرة لا حصر لها في أنواعها وفي عددها حتى صار المهمش أكبر بكثير من المؤسساتي، مع تقنين صارم لما هو جمالي وتم احتكار حقوق التعريف والتصنيف للمؤسسة الاصطلاحية التي ظلت محروسة على مدى الزمن "[8]؛ فالغاية القصوى للنقد الثقافي ظلت هي الغاية الموروثة من البلاغة وهي البحث عن جمالية الجميل والوقوف على معالمها أو كشف عيوبها ،فتميز النصوص في النقد الأدبي لا يتأتى إلاّ إذا كان النص جماليا بليغا لكي يحتمل الموقع الأعلى في سلم الذائقة الجماعية وفي هرم التمييز الذهني فصار "الجمالي نخبويا معزولا وجرى إهمال ما هو مؤثر وفعّال في عموم الناس ،فانشغل النقد بالنخبوي والمتعالي ما جعل النقد قلعة جامعية معزولة وغير فاعلة في الناس منذ أن شغلت عن الشعبي والجماهيري وتركت أسئلة الفعل والتأثير ولم تعبأ بحركة الأنساق مذ كانت النصوص هي الأهم في عرف النقد الأدبي ولم تلتفت النصوص النقدية للأنساق"[9]فما أغفله النقد الأدبي تفطن إليه النقد الثقافي من منطلق أنه إذا كان الجمالي أساسي ومهم وضروري في العملية النقدية الأدبية فما الذي يضمن عدم تحول هذا الجميل الذوقي إلى عيب نسقي في تكوين الثقافة العامة وفي صياغة الشخصية الحضارية للأمة، ومن هنا تنكشف أسئلة النقد الثقافي والمتمثلة في :[10]

- سؤال النسق بديلا عن سؤال النص.
- سؤال المضمر بديلا عن سؤال الدال.
- سؤال الاستهلاك الجماهيري بدلا عن سؤال النخبة المبدعة.
- ويتوج ذلك سؤال عن حركة التأثير الفعلية وهل هي للنص الجمالي المؤسساتي أم لنصوص أخرى لا تعترف بها المؤسسة ولكنها مع هامشيتها هي المؤثرة فعلا وهي المشكلة للأنساق الثقافية العامة التي لا تسلم منها حتى المؤسسة بشخوصها ونصوصها.

إلاّ أن الإجابة عن هذه الأسئلة لا تتأتى إلاّ في ظل تأسيس منهجي ونظري لمشروع النقد الثقافي ، في حين اشتهر النقد الثقافي بوصفه مبحثا حيويا داخل الدراسات الثقافية ما يؤكد ضرورة التمييز بين "**الدراسات الثقافية**" من جهة و"**نقد الثقافة** "من جهة ثانية و"**النقد الثقافي**" من جهة ثالثة "[11]،لذلك لا بد من تحديد مفهوم الدراسات الثقافية التي ظهرت في أواخر العقد الأخير من القرن الماضي حتى لا تلتبس مع النقد الثقافي والذي هو مجال بحث هذه الدراسة .

يتواشج مصطلح "الدراسات الثقافية " ومصطلح "النقد الثقافي "من حيث التسمية ما يؤكد وجود تداخل بين مجاليهما المعرفيين إذ يدلاّن تحديدا على الدراسات التي تشتغل بصورة مركزة على تفكيك البنى الثقافية وتحديث علاقتهما والإحاطة بأنساقها ومهيمنات إنتاج المعنى الإيديولوجية وتشريح الإيديولوجي المؤسساتي وكشف السياقات الثقافية والسياسية و الاجتماعية ومعرفة مرجعيات الخطاب الثقافي "[12]، ويحدد اسماعيل خلباص الفرق بين الدراسات الثقافية والنقد الثقافي كالفرق بين مصطلحي "الدراسات الأدبية "والنقد الأدبي"الأول يعني حقول الممارسة النقدية ومناهجها والثاني يعني الممارسة نفسها وما

الفصل بينهما في نظره إلا لغرض التنظيم المنهجي والتوسع بالمفاهيم أو للتفريق بين الدراسات الثقافية عموما وبين تلك الموضوعة بقصدية النقد الثقافي.[13]

ونصل بالقول إلى أن مصطلح "الدراسات الثقافية يطلق على مجمل الدراسات الوظيفية والتحليلية والنقدية و النظرية بينما يشير مصطلح النقد الثقافي إلى هوية المنهج الذي يتعامل مع النصوص والخطابات الأدبية والجمالية والفنية فيحاول استكشاف أنساقها المضمرة غير الواعية " [14]، فرغم التلاحم المعرفي بينهما إلاّ أن كل ممارسة منهما تحمل خصوصية حقل الممارسة نفسها

ويشير الغذامي إلى ضرورة التفريق أيضا بين مصطلح نقد الثقافة والنقد الثقافي فهما "متمايزان بالشرط النظري، وتحت مصطلح نقد الثقافة ظهرت أعمال كثير في مغرب الوطن وفي مشرقه، وعلى مدى القرن العشرين كلّه غير أن النقد الثقافي كنظرية وكمنهج وكمقولة في الأنساق المضمرة والعمل الثقافي يأخذ لنفسه موقعا يستمد وجوده من هذه الأبعاد وتجب محاسبته والنظر إليه من هذه الزاوية "[15]، فهو غوص إلى ما هو ثاوي في النص واستجلاء أنساقه المضمرة التي تأبى الانصياع والمكاشفة أمام القراءة الجمالية .

بعد محاولة التمييز بين هذه المنظومة الاصطلاحية ذات الحدود المتشابكة سنحاول ضبط الموصوف المنهجي للنقد الثقافي ، فقد اقترح "فنسنت ليتش" مصطلح النقد الثقافي مسميا مشروعه النقدي بهذا الاسم وجعله "رديفا لمصطلحي ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية ، وهذا ليس تغييرا في مادة البحث فحسب ، ولكنه أيضا تغيير في منهج التحليل ، يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية من دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي "[16]، فقد فتح هذا الأخير إمكانات أوسع للنقد الثقافي في تناوله الكلي للنص أو الظاهرة الأدبية وفي تشريحه لها على أن يتم كما يقول عبد الله الغذامي النظر إلى الظاهرة أي ظاهرة بوصفها نصا .

ناهيك عن تلك المفاهيم التي حاولت تحديد الأطر المنهجية للنقد الثقافي نذكر تلك المقاربات التي تدل على تركيبه ألإسنادي منها ما ورد في دليل الناقد الأدبي والذي جاء فيه "أن النقد الثقافي كما يوحي اسمه نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره ويعبّر عن مواقف إزاء تطورها وسماتها"[17]، والملاحظ من هذا التعريف غلبة التوصيف التعميمي الذي قد يؤدي إلى التشويش في تحديد المفهوم ،إذ يضع القارئ في صورة ذهنية توحي بأنّ هذا النقد ما هو إلاّ نوع من أنواع الثقافة ، وهذا ما يشير إليه أيضا دليل الناقد الأدبي"وحين تطور ذلك النقد في الثقافة الغربية فإنه لم يتطور كمنهج في البحث أو يتبلور على شكل تيار ذي سمات واضحة وإنّما ظل نشاطا عائما تدخل تحت مظلته ألوان مختلفة من الملاحظات والأفكار والنظريات "[18]، فلعل ما ذكراه لا يعد نقدا ثقافيا وإنّما هو اشتغال في نقد الثقافة.

في الحين ذاته يقدم عبد الله الغذامي تعريفا مخالفا لما تقدّم يقول بأنّ النقد الثقافي "فرع من فروع النقد النصوصي العام ، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول (الألسنية) معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء"[19]. ووفقا لهذا التعريف يتجلى مجال اهتمام النقد الثقافي في التنقيب عن الأنساق المضمرة "لا بكشف الجمالي كما هو شأن النقد الأدبي وإنّما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي/الجمالي" [20] إلاّ أن هذا لا ينفي عدم اكتراث النقد الثقافي بالجماليات فعبد الله الغذامي يوسع من مدلول الجمالية لتشمل

نصوصا استبعدها النقد الأدبي كالنكتة والأغنية والشائعات وغيرها ،في حين ممارسته النقدية على هذه النصوص تكشف عن الجمالية بما هي حيلة ثقافية من حيل النسق الذي ينشط داخل النصوص [21]

ولا يتردد الغذامي في دعوته إلى ضرورة إيجاد نظريات في القبحيات تكشف عن حركة الأنساق المضمرة يقول :"وكما أن لدينا نظريات في الجماليات فإن المطلوب إيجاد نظريات في القبحيات لا بمعنى البحث عن جماليات القبح ، مما هو إعادة صياغة وإعادة تكريس للمعهود البلاغي في تدشين الجمالي و تعزيزه ، وإنّما المقصود بنظرية القبحيات هو كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد للوعي وللحس النقدي "[22]،ومهما كان التوصيف الصحيح للنقد الثقافي باعتباره منهجا قائما بذاته أو حتى نشاطا معرفيا يتأسس على منظور الناقد وتفسيره ،فقد ظهر بوصفه نشاطا يضع ثقله النظري أو الفلسفي الأكبر على دعامتين اثنتين هما:دعامة الشمول أو الكلية و دعامة التعدد أو نقض التمركز ،فنخلص من إسار الرؤى المنهجية أو الفلسفية المتطرفة صوب جانب دون آخر أو مركز دون آخر "[23] ما أجج الاهتمام بالهامش لما يحمله من تورية ثقافية وطرد للمتن بما يحمله من تورية جمالية.

والجدير بالذكر أن هذه الدراسات النقدية الجديدة التي اشتغلت على قراءة الأنساق الثقافية تجد مجالا منفتحا أكثر من غيرها على التأويل ،إذ يعد واحدا من الإجراءات الهامة التي استدعاها النقد الثقافي لأجل ممارسته النقدية فهو "حجر الأساس ،في اتجاهات ما بعد البنيوية أو ما بعد الحداثة الذي يمارس لعبة المتاهة في الكشف عن الأشرار اللانهائية أو السيميوزيس التأويلي"[24]، إلاّ أنّ التأويل سار مسارا جديدا لم يعهده من قبل مع النقد الثقافي ،إذ يتنامى في بعدين:[25]

_البعد الأول الظاهر:يقوم بتفكيك أنظمة النصوص الثقافية الظاهرة ، ويكشف عن عللها والمتحكمات النسقية فيها ، وهو إجراء يقوم على التقويض والإزاحة وإقصاء المركزيات على نحو غير مرتهّن بمركزيّة النص الجمالية أو استقلاليته البنائية .

_البعد الثاني الخفي:يقوم على رؤية ما بعد حداثية مضافة تعتمد عل ما يمكن تسميته بنقد أو تفكيك الامتصاص ويتمركز حول فاعلية الكشف عن السياقات التاريخية التي امتصّها النص وأسهمت في إنتاجه

لقد نحى التأويل منحى جديدا باعتباره المفكك الرئيسي لتلك الترسبات القابعة في قاع النص والتي أسهمت في إنتاج سياقات مضمرة التي لم "تكن مقروءة في مرحلة البنيوية التي تقوم على استقلالية النص الأدبي عن السياقات الثقافية المغايرة وعن المقاربات الشمولية لنقده"[26] ، فقد اهتم التأويل بالتنقيب والبحث عن سلك السياقات التاريخية والثقافية التي أسهمت في إنتاج النص فالدلالة النسقية هي الأصل النظري للكشف والتأويل مع التسليم بوجود الدلالات الأخرى منها ماهو صريح أو ضمني وكذا التسليم بوجود القيمة الفنية الجمالية وغيرها من القيم النصوصية "إن هذه الدلالات وما يتلبسها من قيم جمالية تلعب أدوارا خطيرة من حيث هي أقنعة تختبئ من تحتها الأنساق وتتوسل بها لعمل عملها الترويضي الذي ينتظر من هذا النقد أن يكشفه."[27]

ب_ الوظيفة النسقية : إذا حاول "رومان جاكبسون " تعزيز فكرة أدبية الأدب بإضافة الوظيفة الجمالية للبحث عما يجعل الأدب أدبا ، وكما هو معلوم بأنه استعار النموذج الاتصالي ليفسره عبره وظائف اللغة، هذا النموذج يقوم على ستة عناصر هي : المرسل والمرسل إليه ، الرسالة التي تتحرك عبر

السياق والشفرة ولا يتم الاتصال إلا إذا توفرت هذه العناصر ، وللغة أيضا ستة وظائف "تتنوع حسب تركيزها على عنصر أو آخر من هذه العناصر وتكون الوظيفة الأدبية / الجمالية حينما تركز الرسالة على نفسها"[28]، وهذا ما يحقق الأدبية ، فقد قدّم جاكبسون بسعيه لإرساء هذا النموذج خدمة جليلة للنقد الأدبي، إلى حين إضافة **العنصر السابع** لعناصر الاتصال الستة وهو ما يسميه عبد الله الغذامي "**العنصر النسقي** "ولهذا العنصر وظيفة لا تقوم بها الوظائف الستة الآنفة الذكر إذ"به نكشف البعد النسقي في الخطاب وفي الرسالة اللغوية وعليه تقوم منظومة من المصطلحات والتصورات نعتمد عليها في بناء التصور النظري والمنهجي لمشروع النقد الثقافي "[29]، وفي ظل هذا التّوجه ستكتسب اللغة وظيفة سابعة هي "**الوظيفة النسقية** " التي تتولد من العنصر النسقي وهذا ما يمثل مبدأ أساسيا من مبادئ النقد الثقافي من جهة ، وتحولا إجرائيا نظريا من النقد الأدبي إلى النقد ببعده الثقافي

إن بروز هذه الوظيفة السابعة "النسقية "غيّرت النظرة الجمالية للنص الأدبي "لأنها كما يشير عبد الله إبراهيم في مقاله المعنون بـ "مطارحات في النظرية والمنهج والتطبيق " أنها تركز النظر على الأبعاد النسقية للخطابات ، وبذلك توسع من وظيفة النقد ، وتنقلها إلى آفاق جديدة "[30]، فتصبح النظرة موجهة إلى النص بوصفه حادثة ثقافية وليس نصا أدبيا جماليا فحسب.

فبعد إضافة العنصر السابع "النسقي "الذي انجرت عنه الوظيفة النسقية اقترح الغذامي نوعا ثالثا من أنواع الدلالة وهي "**الدلالة النسقية** "والتي "تمثل قيمة دلالية نصوصية مخبوءة في المضمر النصي في الخطاب اللغوي " [31]، فإذا كانت الدلالة الصريحة مرتبطة بالشرط النحوي ووظيفتها نفعية /توصيلية، بينما الدلالة الضمنية ترتبط بالوظيفة الجمالية للغة ،" فإن الدلالة النسقية ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزمن لتكون عنصرا ثقافيا أخذ بالتّشكل التدريجي إلى أن أصبح عنصرا فاعلا ، ولكنّه وبسبب نشوئه التدريجي تمكن من التغلغل غير الملحوظ وظل كامنا هناك في أعماق الخطابات وظل يتنقل ما بين اللغة والذهن البشري فاعلا أفعاله دون رقيب نقدي لانشغال النقد بالجمالي أولا ثم لقدرة العناصر النسقية على الكمون والاختفاء"، وعليه ستكون الدلالات حينئذ كالتالي:

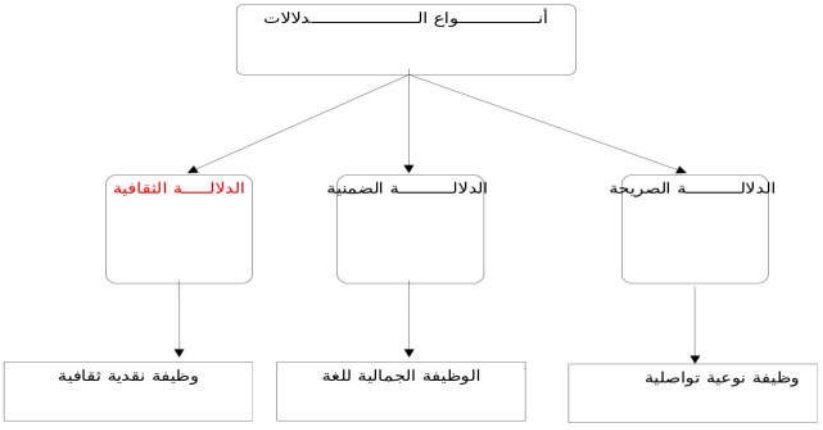

ويسلم عبد الله الغذامي بوجود" الدلالتين الصريحة والضمنية وكونهما ضمن حدود الوعي المباشر ، كما في الصريحة أو الوعي النقدي كما في الضمنية ، أما الدلالة النسقية فهي في المضمر وليس في الوعي

وتحتاج إلى أدوات نقدية مدققة تأخذ بمبدأ النقد الثقافي لكي تكتشفها ولكي تكتمل منظومة النظر والإجراء" [32] ، ولعل البحث عن الثاوي والمضمر في النصوص الأدبية هو ما يترجم عنصر المجازفة وتخطي كل ما هو ظاهر وجمالي إلى ما هو مضمر وخفي .

ج_ الجملة الثقافية :إذا كانت الدلالة الصريحة تستند إلى الجملة النحوية ، والدلالة الضمنية تنشأ عن الجملة الأدبية ، فإن الدلالة النسقية كما يشير عبد الله الغذامي تحتاج إلى"**جملة ثقافية** " قوامها التشكيل الثقافي المنتج للصيغ التعبيرية المختلفة "، وهذا ما يتطلب برأي الغذامي نموذجا منهجيا يتوافق مع شروط هذا التشكل ويكون قادرا على التّعرف عليه ونقدها. [33]، ومن هذا المنطلق تكون أنواع الجمل ثلاثا[34]:

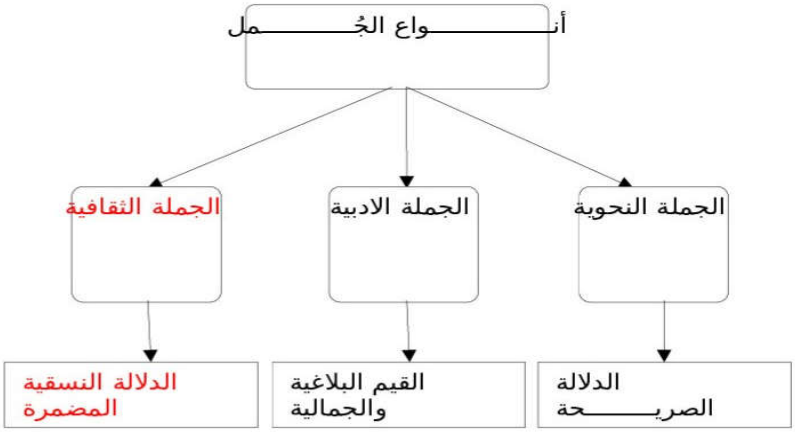

ويشير عبد الله الغذامي إلى أن "الجملة الثقافية هي حصيلة الناتج الدلالي للمعطى النسقي، وكشفها يأتي عبر العنصر النسقي في الرسالة ثم عبر تصور مقولة الدلالة النسقية، وهذه الدلالة التي سوف تجل وتتمثل عبر الجمل الثقافية "[35] فهي القول الذي يمتلك طاقة تعبيرية كاشفة للمضمر الثقافي والموجهة له.

وفي نفس السياق يؤكد أن الجملة الثقافية " ليست عددا كميا،إذ قد نجد جملة ثقافية واحدة في مقابل ألف جملة نحوية ، أي أن الجملة الثقافية هي دلالة اكتنازية وتعبير مكثف " [36]، فقد تطول لتصبح مقطعا شعريا وقد تكون قصيرة أو شبه جملة ، المهم أنها تحمل نسقا مضمرا يكشف عن سر النص في امتلاكه دلالة مضمرة متوارية ومختفية غير صريحة وكذلك ليست ضمنية، ونستشف مما تقدم أن الجملة الثقافية هي الهدف والمرمى ،وأنها تعنى باكتشاف المنطوق الثقافي ، وتحصيل المعنى السياقي الذي يحيل على المرجع الثقافي الخارجي [37].

د_ المجاز الكلي :طالت هذه التغييرات التي سبق وأن أشرنا إليها في المنظومة النقدية والمصطلحية مصطلح المجاز البلاغي الذي يدور حول الاستعمال المفرد للفظة المفردة وإن زتد فعن الجملة حسب قيمتها النحوية والبلاغية والأدبية، بينما لا يتعامل النقد الثقافي مع الجمل النحوية ولا الجمل الأدبية فحسب وإنّما يسعى إلى كشف الجملة الثقافية كما ذكرنا آنفا،إذ يؤكد الغذامي إلى أن "هناك حاجة ماسة إلى كشف مجازات

اللغة الكبرى والمضمرة ، ومع كل خطاب لغوي هناك مضمر نسقي يتوسل بالمجازية والتعبير المجازي ليؤسس عبره قيمة دلالية غير واضحة المعالم ويحتاج كشفها الى حفر في أعماق التكوين النسقي للغو وما تفعله في ذهنية مستخدميها"[38]

حاول عبد الله الغذامي تقديم بديل عن المجاز البلاغي رغبة في توسيع مجاله الذي انحصر في البحث عن القيم البلاغية والجمالية إلى الكشف عن القيم الثقافية المضمرة داخل الفعل النسقي بل يتسع ليشمل "الأبعاد النسقية في الخطاب وفي أفعال الاستقبال ، فإننا نقول بمفهوم (المجاز الكلي)متصاحبا مع الوظيفة النسقية للغة، والاثنان معا مفهومان أساسيان في مشروعنا في (النقد الثقافي) كبديل نظري وإجرائي عن النقد الأدبي ، "[39]، فالمجاز الكلي الذي ينتصر له الغذامي يهدف الى استخلاص المجازات الثقافية الكبرى المضمرة والثاوية في قاع النصوص والتي لا تستطيع أدوا النقد الأدبي النقيب عنها وتعريتها.

هـ_ التورية الثقافية :إن التورية الثقافية كما يراها الغذامي هي "مصطلح دقيق ومحكم وهي في المعهود منه وجود معنيين أحدهما قريب والآخر بعيد والمقصود هو البعيد وكشفه هو لعبة بلاغية منضبطة "[40]، فالخطاب الأدبي يحمل نسقين أحدها واع والآخر نسقي مضمر أوجدته سلوكات جماعية واعية

و_ النسق المضمر: تمثل الأنساق المضمرة الابن البآر الذي يرتكز عليه النقد الثقافي ويمارس نشاطه من خلال محاولة الكشف عنها وتعريتها ، فهي البؤرة المركزية التي تتكئ عليها الدراسة في هذا الحقل النقدي الجديد حيث"يأتي مفهوم النسق المضمر في نظرية النقد الثقافي بوصفه مفهوما مركزيا، والمقصود هنا أن الثقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنة وتتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة سميكة ، وأهم هذه الأقنعة وأخطرها هو قناع الجمالية "[41]، ما يدل على أن الخطاب البلاغي الجمالي يخبئ من تحته شيئا آخر غير الجمالية ، "وليست الجمالية إلاّ أداة تسويق وتمرير لهذا المخبوء ، وتحت كل ما هو جمالي هناك شيء نسقي مضمر يعمل عمل الجمالي عمل التعمية الثقافية لكي تظل الأنساق فاعلة ومؤثرة ومستديمة من تحت قناع "[42]

فالنص الجمالي والبلاغي أو ما يسمى بالأدب يعد الميدان المحبّب للنسق فهو" الملاذ الآمن بالنسبة إليه أو هو المحراب الذي يتعبّد فيه ويمارس فيه طقوسه المفضلة[43] فيختبئ وراء قناع الجمالي ليمارس لعبة الاحتيال التي يتقنها وليمرر أنساقه الخطيرة الأشد فتكا بالمجتمع والأكثر تأثيرا عبر الزمن في العقول والسلوك والمواقف ،و لأن الخطاب الأدبي نص ثقافي أو تورية ثقافية له وجهان[44]:

- وجه ظاهر:وهو المتن الجمالي بما ينطوي عليه من بلاغيات وجماليات ودلالات متعددة ومجازات واحتمالات التأويل الكثيرة.
- وجه باطن أو بعيد: وهو المتن المضمر أو النسق المضمر الذي يتمتع بسلطة التحكم في المبدع و المتلقي .

ويشير الغذامي أيضا إلى أن تأويل النسق المضمر متنوع ومختلف لأنّ هناك " مضمر نسقي يلعب لعبته الرمزية حيث هو جبروت رمزي متحكم ، و به تتشكل الدلالة النسقية "[45]، إذ يعمد الناقد الثقافي على نبش ما هو تحت البنية اللسانية في محاولة التنقيب وتعرية الأنساق التي يتجلى أثرها الفاعل في الأفراد والجماعات و السلوكيات ، ما يؤكد فكرة أن الخطاب الأدبي خطاب ثقافي مؤسس لا جمالي محض ،فما

هو مسكوت عنه داخل النص أبلغ بكثير مما صرح به،لان أنساقه المضمرة تساعد على بلورة الفكر والسلوك والمواقف .

ولأنّ الأنساق المضمرة " تمتلك صفة التخفي والإضمار بعدها أقنعة تختفي تحت أنساق تتوسل بها لعمل عملها الترويضي "[46]، فهي لا تبتعد أيضا على أن تكون "مجموعة من الترسّبات تتكون عبر البيئة الثقافية و الحضارية وتتقن الاختفاء تحت عباءة النصوص المختلفة ،تمارس على الأفراد سلطة من نوع خاص وهي حاضرة في فلتات الألسن والأقلام بصورة آلية وينجذب نحوها المتلقون دونما شعور منهم ،لأنّها أصبحت تشكّل جزءا هاما من بنيتهم الذهنية و الثقافية"[47]، ما يجعل "كل دلالة نسقية مختبئة تحت غطاء الجمالي ومتوسلة بهذا الغطاء لتغرس ما هو غير جمالي في الثقافة"[48].

والملفت للانتباه في هذه الأقوال اشتراكها في رموز لغوية (كالعباءة ، و الغطاء ، والأقنعة ،والترسبات)التي ترسخ في دلالتها ومعانيها فكرة التخفي و الاختباء ما يؤكد صعوبة مهمة الكشف عن ما تخبؤه هذه الأنساق ما يقتضي بحثا حثيثا في ما هو ثاوي داخل أجواف النص.

ولتحديد ماهية النسق المضمر بعده مصطلحا مركزيا في هذه الدراسة نذهب إلى القول بأنّ أي خطاب يحمل نسقين:"أحدهما واع والآخر مضمر ، وهذا يشمل كل أنواع الخطابات الأدبي منها وغير الأدبي ، غير أنه في الأدبي أخطر لأنه يتقنع بالجمالي والبلاغي لتمرير نفسه وتمكين فعله في التكوين الثقافي للذّات الثقافية للأمة"[49].

في الحين ذاته يحدد عبد الله الغذامي شروط النسق المضمر وهي كالآتي[50]:

_ يتحدد النسق عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد والوظيفة النسقية لا تحدث إلّا في وضع محدد ومقيد وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضا وناسخا للظاهر، ويكون ذلك في نص واحد أو فيما هو في حكم النص الواحد ويشترط في النص أن يكون جماليا وأن يكون جماهيريا...وإنّما الجمالي ما اعتبره الرعية الثقافية جميلا "

لا بد أن يكون النص ذا قبول جماهيري ،ويحظى بمقروئية عريضة ،وذلك لنرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذّهن الاجتماعي والثقافي والنخبوي لنستطيع الكشف عن درجة تغلغل النسق في خلايا الفعل الثقافي.

_ يؤكد الغذامي على قراءة الأنساق قراءة خاصة باعتبارها حالة ثقافية والنص هنا ليس فحسب نصا أدبيا وجماليا ولكنّه أيضا حالة ثقافية.

_ النسق هو تورية ثقافية تشكل المضمر الجمعي .

_لا بد أن يكون النص موضوع الفحص نصا جماليا لأنّ الثقافة تتوسل بالجمالي لتمرير أنساقها وترسيخ هذه الأنساق.

و ركحا على ما سبق نفنّد قول يوسف عليمات بأنّ النص "بنية ثقافية جمالية"،أي أنّه يتخذ لنفسه معطى ثقافيا وشكلا جماليا فهو "تكوين ومشروع ثقافي وفكري وارتباط حضاري"[51]، ما يؤكد ازدواجية تركيب النص التي تظهر في بنيتين:

- بنية لسانية جمالية تستميل القارئ وتغويه بما تحمله من آفاق تأويلية .

- بنية فكرية ثقافية مستفزة تدغدغ وعي القارئ فتفتح أبواب التأويل على المتعدد والمختلف إيديولوجيا وثقافيا وفكريا

خاتمة:

وتنوخ قافلة دراستنا هذه عند مجموعة من النقاط التي يمكن تلخيصها على الشكل التالي :

-من أهم القضايا التي ارتكز عليها عبد الله الغذامي في إرسائه لقواعد النقد الثقافي هي موت النقد الأدبي وهذا لن يتأتي بمجرد الدعوة له ولا يمكن تحقق موت أي حركة أدبية بمجرد الدعوة لموتها ،فلا يمكن للنقد الثقافي في أي حال من الأحوال أن يلغ ما سبقه من مناهج بل هو مكمل لها، لذا يعترف الغذامي في أحد اللقاءات أنّ النقد الثقافي هو مجرد نشاط نقدي وليس منهج نقدي إذ يعتمد على مناهج نقدية كثيرة سابقة له كالمنهج البنيوي والتفكيكي....

- إنّ النقد الثقافي هو نقد يحاول تجاوز التصنيف المؤسساتي للنص بوصفه وثيقة جمالية إلى الانفتاح على الخطاب بوصفه ظاهرة ثقافية، فهو مجال نقدي يتوجه إلى الكشف عن المضمر الثقافي الثاوي في النصوص والخطابات وما كان في حكمها وما يتوسل لذلك بأدوات إجرائية ما بعد حداثية كالتحليل النفسي والتأويل ويستوي أمام ممارسته المركز والهامش .

- يهتم النقد الثقافي باستكشاف الأنساق الثقافية المضمرة ويربط الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن أي أنّ النقد الثقافي لا يتعامل مع النص الأدبي على أنّه خطاب فني وجمالي وأنّه يتضمن مجازات شكلية موحية، بل يتعامل معه باعتباره مجموعة من الأنساق الثقافية المضمرة الموجودة في النص وبشكل غير واعي من الكاتب نفسه،إلاّ أنّ هذه الأنساق أثّرت في وجداننا الثقافي والاجتماعي والنفسي .

- قائمة الإحالات:

1_ عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف نقد ثقافي أم أدبي ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر سوريا دمشق ط 1، 2004، ص21.

2-_ عبد الله الغذامي ،النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط3،2005 ، ص8

3-_ ينظر :عبد الله الغذامي ، عبد النبي اصطيف ، ،نقد ثقافي أم أدبي، ص167.

4-_ ينظر :يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي للشعر الجاهلي أنموذجا ، دار الفارس للنشر والتوزيع الأردن ،ط1-2004، ص 35.

5_ عبد الله الغذامي، النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، _ص62.

6_ المرجع نفسه ص 62-

7_المرجع نفسه ص63.

8_ عبد الله الغذامي ، عبد النبي اصطيف نقد ثقافي أم نقد أدبي ،ص35.

9_المرجع نفسه ص 36.

10_ ينظر: المرجع نفسه ص 37.

11_ نقد ثقافي أم نقد أدبي ،ص 37.

12_ اسماعيل خلباص حمادي ، وطالب الماجستير إحسان ناصر حسين ، النقد الثقافي ،مفهومه ، منهجه ،إجراءاته مجلة كلية التربية /واسط ، العدد 13 1نيسان 2013، ص11.

13_ ينظر المرجع نفسه ص11.
14_كريم شغيدل مطرود، مشروع الحداثة الشعرية في العراق في أطار النقد الثقافي (أطروحة دكتوراه) ،كلية الآداب ، جامعة المستنصرية 2008 ، ص9 ، دار المنظومة Theis.mandumah.com
15_ حسين السماهيجي وآخرون ، عبد الله الغذامي والممارسة النقدية الثقافية ، ، ص 12.
16_ المرجع نفسه ص32.
17_ ميجان الرويلي، سعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي ،ص305.
18_ المرجع نفسه ص306.
19_ عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي ص 83_84.
20_ المرجع نفسه ص 84.
21___ نادر كاظم ، الهوية والسرد _ دراسات في النظرية والنقد الثقافي_ ، دار الفراشة للنشر والتوزيع ، الكويت ط2، 2016 ، ص9
22_ عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي، ص 84.
23_ بشرى موسى صالح ، بويطيقا الثقافية، نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي _ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد العراق ط1،2012،ص8.
24_ المرجع نفسه ص 25.
25_المرجع نفسه ص8_9.
26_ المرجع نفسه ص 9..
27_ عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي ص 78.
28_ عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي ، ص64،
29_ عبد الله الغذامي ، عبد النبي اصطيف ، نقد ثقافي أم نقد أدبي ص 26.
30_ حسين السماهيجي وآخرون ، عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1-2003،ص44.
31_عبد الله الغذامي ، نقد ثقافي أم نقد أدبي ؟ص27-.
31 _ عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي ،ص 72
32_ عبد الله الغذامي ، عبد النبي اصطيف ، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص 27.
33_ عبد الله الغذامي، ، النقد الثقافي ص73.
34_ عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي ، ص73_74.
35_ عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف ،نقد ثقافي أم نقد أدبي ،ص28.
36_المرجع نفسه ص28.
37_ جميل حمداوي ، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان ، ديوان العرب www.diwanalarab.com
38_، عبد الله الغذامي ، عبد النبي اصطيف ، نقد ثقافي أم نقد أدبي ص28.
39_ عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي ص69.
40_ عبد الله الغذامي ،نقد أدبي أم ثقافي ص29
41_عبد الله محمّد الغذامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي؟ ،ص 30
42_ المرجع نفسه، ص 30.
43_ ينظر حسين بوحسون، جدل الأنساق الثقافية المضمرة في روايات اعترافات امرأة للكاتبة عائشة بنور، مجلة المقال العدد5، 2017،_ص12
44_ ينظر:عبد الله الغذامي ،النقد الثقافي ،قراءة في الأنساق الثقافية العربية ،ص 81.

45_ عبد الله الغذامي ،النقد الثقافي ص81.
46- المرجع نفسه ص78.
47_اسماعيل خلباص حمادي، ص17.
48_مُحَّد عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف ،ص33.
49_ المرجع نفسه ص31_32.
50_ينظر: عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي، ص80_82_83.
51_ عبد السلام بلعجال ، انزياح النسق الثقافي في شعر أبي تمام من العمود الى البديع ،مجلة مقاليد ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر العدد 4جوان 2013 ص170.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

1-_ آرثر أيزابرجر، تر: وفاء ابراهيم ، رمضان بسطاويسي ،النقد الثقافي ،تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ، مصر، الطبعة بشرى موسى صالح ، بويطيقا الثقافية، نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي _ دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد العراق ط1-2012.
2- حسين السماهيجي وآخرون ، عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط2003،1.عبد الله الغذامي ، عبد النبي اصطيف نقد ثقافي أم أدبي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ، دار الفكر سوريا دمشق ،ط 1، 2004.
3- عبد الله الغذامي ،النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،ط3،2005.
4- نادر كاظم ، الهوية والسرد _ دراسات في النظرية والنقد الثقافي_ ، دار الفراشة للنشر والتوزيع ، الكويت ط2-2016.
5-يوسف عليمات ، جماليات التحليل الثقافي للشعر الجاهلي أنموذجا ، دار الفارس للنشر والتوزيع الأردن ،ط1-2004.

المقالات:

1-اسماعيل خلباص حمادي ،إحسان ناصر ، النقد الثقافي مفهومه ، منهجه ،اجراءاته، مجلة كلية التربية ،جامعة واسط العراق، العدد 13، 2013.
2- حسين بوحسون ، جدل الأنساق الثقافية المضمرة في روايات اعترافات امرأة للكاتبة عائشة بنور، مجلة المقال العدد5، 2017.
3- عبد السلام بلعجال، انزياح النسق الثقافي في شعر أبي تمام من العمود إلى البديع ،مجلة مقاليد ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة العدد 4جوان الجزائر 2013.

الانترنيت:

1_ جميل حمداوي ، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان ، ديوان العرب www.diwanalarab.com
2- شغيدل مطرود ، مشروع الحداثة الشعرية في العراق في أطار النقد الثقافي (أطروحة دكتوراه) ، كلية الآداب ، جامعة المستنصرية 2008 ، ص9 ، دار المنظومة Theis.mandumah.com